

تفريغ  
دورة



# مختصر منهاج القاصدين

ربع المملكات



[www.abobakrelkady.net](http://www.abobakrelkady.net)

abobakrelkady AboBakr Elkady

لابن فلامة المقدسي

## السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، ثمّ أما بعد:  
فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل  
مُحدثةٌ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار، ثمّ أما بعد:

فإن السباق في الدنيا -عباد الله- قائم على أن يحوز الإنسان في هذه الحياة على القلب السليم  
الذي لا ينفع غيره بين يدي الله عزوجل يوم القيامة.

- قال تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء ٨٨:٩٨]

وانتهي سفر الطالبين للظفر بقلوبهم، فمن ظفر بقلبه فقد أفلح وأنجح.

ومهمة تطهير القلب وتسليمه من الشهوات والشهوات هي مهمة العمر التي لا تنفك عن  
الإنسان، فهي وظيفته المرتبطة بكل التكاليف الشرعية التي أمر الله بها.

فما أمر الله عزوجل بالتوحيد؛ إلا لأنه تطهير من نجس الشرك وتزكية للنفوس، وهكذا  
الصلاة في الصلة بين العبد وبين الله، وهكذا الزكاة في التخلص من شح النفوس، وهكذا  
الصيام في قهر الشهوات، وهكذا الحج في الهجرة إلى الله عزوجل والتزود بالتقوى، وهكذا أمر  
الجهاد في سبيل الله عزوجل كي تكون كلمة الله هي العليا؛ فإن العبد يضحى بالغالي والنفيس  
في سبيل ذلك، ويرحل عن الدنيا بقلبه قبل أن يرحل عنها بقلبه أو ببدنه.

قلب الشريعة هو تزكية النفوس، وهو في الحقيقة أعظم وظائف الأنبياء والرسول.

- قال تعالى: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [البقرة: ١٥١]

فذكر تزكية النفوس قبل تعليم الكتاب والحكمة من باب ذكر المقاصد قبل الوسائل، فإن العلم إنما يراد به الخشية، إنما يراد منه الافتقار والانكسار بين يدي الله عزوجل، إنما يراد به تزكية النفس.

● ولذلك وظائف الأنبياء أربعة: تلاوة الآيات، تزكية النفوس، تعليم الكتاب، وتعليم الحكمة.

إذا تزكية النفوس -أي تهذيبها وتصفيتها من الشوائب- ومحاربة الشهوات فيها (الشهوات المحرمة) وإعانة الصالحين على نفوسهم وعلى شياطينهم هذا من وظائف الأنبياء، ووظائف نبراس النبوة أيضًا من العلماء والمصلحين والدعاة إلى الله عزوجل عبر الزمان والمكان.

قال ابن قدام -رحمه الله-: "كتاب يضبط النفس، وتهذيب الخلق، ومعالجة أمراض القلب" وهذا ما يسميه أهل العلم بطب القلوب -ولكن ليس طب القلوب العضوي المادي، ولا طب القلوب التشريحي الفسيولوجي- وإنما طب القلوب الروحي المتصل بالروح والمتصل بعالم الغيب.

قال ابن قدامة وذلك في فصول: "اعلم أن الخلق الحسن صفة الأنبياء والصديقين، وأن الأخلاق السيئة سموم قاتلة".

كثير ما تجد من الناس لا يولون اهتمامهم لمسألة الخلق أو لمسألة الأخلاق، ولا تمثل للإنسان أي أولوية، وفي حقيقة الأمر كل الأخلاق السيئة إنما هي ثمرة أمراض قلبية، وكل الأخلاق الحسنة إنما ثمرة صحة القلب، ولذلك أصعب شيء يكافح فيه الإنسان ويجاهد فيه هو تحسين الخلق.

قضية طلب العلم نفسه ومذاكرته والتميز فيه أسهل بكثير من تهذيب الخلق، وأن يغير الإنسان عاداته وأن يغير الإنسان طبائعه، ولذلك أكثر الناس لا يولون هذه المعركة اهتمامًا، ويدخلون في المعارك الصغيرة.

#### ● فما هي المعارك الصغيرة؟

المعارك الصغيرة هي أن يذاكر مثلاً: العلم، أن يشتهر، أن ينظر إليه، أن يشار إليه بالبنان، أن يأخذ إجازة في علم من العلوم أو في القرآن مثلاً، لكن تغيير الخلق أو أن يتخلق بالقرآن فهذا أمر يستغرق عمره، يستغرق سنين.

شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في آخر حياته المباركة كان يقول: "إني حتى الآن أجدد إسلامي وما أرى أنني أسلمت إسلامًا جيدًا".

إلى الآن شيخ الإسلام ابن تيمية يرى نفسه يحتاج إلى تجديد -يحتاج إلى تجديد الإسلام ولم يقل الإيمان والإحسان-، وهذا يدل على أن المرتقى صعب وأن التحقق بحقيقة الدين وجوهر الدين ليس كالكلام به.

أسهل شيء أن تتكلم، أسهل شيء أن تكتب بوست وتويتة، أن تمسك الميكروفون وتتكلم فهذا أسهل شيء. أصعب شيء أن يختلط الدين بشحمك ولحمك وأعصابك، وأن يتحول الدين إلى خُلُق.

فما هو تعريف الخُلُق لغة؟

الخُلُق هو: الهيئة الكامنة الراسخة في النفس، داخلية وليست خارجية.

• يعني الخُلُق هو صورة النفس.

الخُلُق صورة النفس وليس البدن، فتغيير الظاهر هذا سهل، لكن تغيير النفس أو تغيير هيئة النفس تحتاج لعمليات تشريحية وتهذيبية، تحتاج لعمليات جراحية التي يكون منها استئصال الأمراض الخبيثة، استئصال الأخلاق السيئة.

قال: "وأن الأخلاق السيئة سموم قاتلة، تنخرط بصاحبها في سلك الشيطان، وأمراض تفوت  
جاه الأبد، فينبغي أن تعرف العلل ثم التشمير في معالجتها، ونحن نشير إلى جمل من  
الأمراض، وكيفية معالجتها في الجملة من غير تفصيل، فإن ذلك يأتي مبيناً إن شاء الله تعالى"

قال: "الفصل الأول في فضيلة حسن الخلق وذم سوء الخلق"

ولا شك أننا نعلم جميعاً فضيلة حسن الخلق:

• وأنه سبب للقرب من النبي ﷺ في الجنة قال رسول الله ﷺ: " **إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي**  
**مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا**" [صحيح الترمذي].

• وأن أثقل شيء في الميزان حسن الخلق.

قال ﷺ في الحديث: " **ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلقٍ حسنٍ**" [صحيح  
الترمذي].

• وأن حسن الخلق ليبلغ به المرء درجة الصائم القائم.

قال النبي ﷺ: " **إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**" [صحيح أبي داود].

ولا شك أن هذه الأجور لم تأت من فراغ، بل بسبب المجاهدة التي يجاهدها صاحب الخلق  
الحسن.

صاحب الخُلق الحسن هو الذي يكظم غيظه، يعفو، يحسن مع الإساءة، وهذا في مراتب حسن الخُلق فهذا الأمر ليس هينًا لذلك يبلغ درجة الصائم القائم. فالعبادة من التوافل دون الفرائض أسهل بكثير من مواظبة الإنسان على سلوكيات حسن الأخلاق، ومجاهدة الإنسان نفسه فيها.

قال: "واعلم أن الناس قد تكلموا في حسن الخلق متعرضين لثمرته لا لحقيقته ولم يستوعبوا جميع ثمراته، بل ذكر كل منهم ما حضر في ذهنه.

وكشف الحقيقة في ذلك أن يقال كثيرًا ما يستعمل حسن الخُلق مع الخُلق، فيقال: فلان حسن الخُلق والخُلق".

- دعاء المرأة الذي تقوله عندما تنظر في المرآة: "اللهمَّ كما حسَّنتَ خلقي فحسِّبْ خلقي" [صحيح الجامع].

الخلق هنا: الوجه، والخلق هنا: هو الهيئة الكامنة الداخلية.

يقول: "فحسن الظاهر والباطن، فالمراد بالخلق: الصورة الظاهرة"، اللهم كما حسنت خلقي فأحسن خلقي أي الصورة الظاهرة، "والمراد بالخلق: الصورة الباطنة"

تعلمون عندما نقول هذا فلان من داخله أسود فهذه هي الصورة الباطنة مع أنه قد يكون أمامك وسيماً ويضحك وغير ذلك، لكن تشعر أنت بداخله حقد، تشعر بداخله حسد يظهر في بعض كلماته، يظهر في بعض سلوكياته؛ فهذه اسمها الصورة الباطنة.

• ما الأهم السورة الباطنة أم الصورة الظاهرة؟

الصورة الظاهرة إلى البلى والفناء، وإنما الذي يبقى من الإنسان في الحقيقة ويتصل به نعيم وعذاب البرزخ هي الصورة الباطنة ومن ثم نعيم الآخرة هي الصورة الباطنة.

قال: "فالإنسان مركب من جسد ونفس، فالجسد مدرك بالبصر، والنفس مدركة بالبصيرة، ولكل واحد منهما هيئة وصورة"

إذا فالنفس مدركة بالبصيرة، فالجسد تدركه بعينيك ولكن النفس تراها ببصيرة قلبك.

- قال تعالى: {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} [القيامة: ٤٤].

المفترض على الإنسان أن يستخدم هذه البصيرة في إدراك عيوب الناس وإدراك عيوب نفوس الناس أم إدراك عيوب نفوس نفسه؟! ولكن العكس الذي يحصل، فيظل ينظر على من حوله.

- قال رسول الله ﷺ: "يُبْصِرُ أَحَدُكُمْ الْقَدَىٰ فِي عَيْنِ أَخِيهِ وَيَنْسَى الْجِدْعَ فِي عَيْنِهِ" [صحيح الجامع].

فهو يرى التراب الذي لا يرى في عين أخيه، لكن ماذا عن عين نفسه؟ يوجد جذع شجرة لكنه لا يراه، لماذا؟ لأنه يعي عن نفسه، ولماذا يعي عن نفسه؟ لأن بصيرته عمياء وهذا يرجع لحب الذات الذي يعي ويصم.

قال: "فالجسد مدرك بالبصر، والنفس مدركة بالبصيرة، ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما جميلة أو قبيحة.

والنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرًا من الجسد المدرك بالبصر، ولذلك عظم الله سبحانه وتعالى أمره فقال: {إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي} [ص: ٧١-٧٢]، فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين، والروح منسوب إليه سبحانه بنفخته. فالخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية".

● وذلك هو تعريف الخلق: هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية.

فالخلق هذا تفعله أنت من غير تكلف، ولكي يكون هذا الأمر خلق لك لا بد أن تعمله باستمرار.

مثال: واحد يرد بأسلوب معين بفحش، أو الناس أول ما شعرت بخسارة أمس ماذا فعلت؟ صاروا يشتمون ويلعنون سلسفيل جدود كل اللاعبين.

ولكن لماذا فعل ذلك؟!

لأنه حصل له نوع من أنواع الغضب.

فحين غضب، ماذا فعل؟

أخرج الشيء الذي بداخله، والذي دائماً يستخدمه، فكلما غضب كان هذا ردة فعله. وهذا اسمه خُلق، شيء أنت تعمله دائماً حين تغضب، وهو أيضاً أول شيء تفعله حين تفرح. أول شيء تفعله في الخناق، هذا اسمه خلق، شيء لا تتكلف دون أن تفكر ماذا عليّ أن أفعل؟! وأن تحاول أن تمسك لسانك، أو يكون عندك ثبات انفعالي وأنت لا تملكه، لا! هذا ليس خُلق، هذا اسمه تكلف.

● فالخلق هو شيء تفعله من غير حاجة إلى فكر وروية.

"إذا كانت الأفعال جميلة من غير فكر وروية سميت خلقاً حسناً، وإن كانت قبيحة سميت خلقاً سيئاً. وقد زعم بعض من غلبت عليه البطالة؛ فاستثقل الرياضة: أن الأخلاق لا يتصور تغييرها كما لا يتصور تغيير صورة الظاهر".

بعض الناس زعم أن الأخلاق لا تتغير، مثلما أنك لا تستطيع أن تغير شكلك؛ فالإنسان لا يعرف أن يغير أخلاقه، فيظل بأخلاقه السيئة تلك.

لكن هذا غير صحيح، ولا الأخلاق الجميلة، حتى الأخلاق الجميلة تتغير.

"والجواب: أنه لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لم يكن للمواعظ، والوصايا معنى. وكيف يُنكر تغيير الأخلاق، ونحن نرى الصيد الوحشي يستأنس، والكلب يعلم ترك الأكل".

• الحيوانات تعلم، فكيف الإنسان المكرم لا يتغير!

قال: "والفرس يعلم حسن المشي وجودة الانقياد، إلا أن بعض الطباع سريعة القبول للصلاح، وبعضها مستصعبة".

وهذا هو موضوع: الالتزام، والاستقامة.

أنه يوجد بعض الناس -سبحان الله- تسمع الموعدة ترق، تبكي، تتغير في لحظتها، تأخذ قرار سأتوب الآن. وتلك التوبة تشمل كل شيء في حياته: تشمل اعتقاداته وعباداته، معاملاته، الحقوق التي عنده، سلوكياته، ما هذا؟! هذه شخصية اسمها سهل هين لين.

وتوجد شخصيات أخرى صعب -حزن- كما قال النبي -صلي الله عليه وسلم - عنها: "حزن يعني صعب" شخصية تحتاج أن ننحت في الصخر فيها حتى نغير فيها.

خلق الله البشر منهم السهل الهين، ومنهم الحزن -الصلب-.

وهذا ابتلاء وامتحان، فالإنسان الصعب هذا ابتلاءه في خلقه، ابتلاءه في طباعه، والأجر على قدر المشقة.

- قال ﷺ: "إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ مِنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطِهِ وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يَوْقَهُ" [السلسلة الصحيحة].

بعض الناس عندها هدوء جميل هم كذلك، جبلوا على ذلك فهذه طبيعتهم.

وآخر حامي وعنده عجلة، فهذا يحتاج أن يجاهد نفسه في هذا الأمر.

والأول هذا -سبحان الله- الخلق الذي عنده هذا محمود، ولكن تجد عنده خلق آخر يكون

مبتلى فيه غالبًا، وهو أن هذا الهدوء مثلًا ممكن يصل لمرحلة أن يجعله سلمي مثلًا.

فسبحان الله !

كل الأخلاق عبارة عن طرفين ووسط: إفراط، وتفريط، ووسط.

مثل الشجاعة والتهور، والإقدام.

- فالشجاعة لو زادت قليلاً ستصبح تهور، ولو قلت تكون جبن. الوسط بين طرفين.

- البخل والإسراف بينهما الوسط: وهو أن يكون قوامًا بين السرف وبين الشح.

فكل الأخلاق كذلك، يوجد بعض الناس عندها أشياء مضبوطة وأشياء غير مضبوطة، هو

حياته كلها عبارة عن جهاد لتطبيق الأخلاق وهي التي يثمر عليها القيام بالتكاليف الشرعية

على وجهها في الحقيقة الظاهرة والباطنة.

فبعض الناس تكون طباعها سريعة القبول، وبعض الناس مستصعبة تنحت معه في الصخر، هو فعلاً حمقى جداً، وغضوب جداً، أن يمسك غضبه صعب جداً؛ فيحتاج أن يجاهد نفسه، لا يستسلم.

قال: "وأما خيال من اعتقد أن ما في الجبل لا يتغير؛ فاعلم أنه ليس المقصود قمع هذه الصفات بالكلية، وإنما المطلوب من الرياضة رد الشهوة إلى الاعتدال".

- الرياضة تعني: الالتزام والمجاهدة -مجاهدة النفس-
  - رد الشهوة إلى الاعتدال: الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط.
- فتلك المشاعر والأخلاق هذه أنا لا أريد أن أقمعها، ولكن أريد أن أجعلها وسط -مثلما ذكرنا- وسط بين طرفين.

قال: "وأما قمعها بالكلية فلا، وكيف والشهوة إنما خلقت لفائدة ضرورية في الجبل، ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان".

وليس معنى هذا أن يصبح مفجوع -نهم في الطعام-، فيقول: إننا نأكل حتى نكبر! هذا صحيح ولكن لا تكن مفجوع -نهم-، فتأكل وسطاً وفي نفس الوقت لا تتقلل من الطعام إلى أن تصل إلى المرض.

"نفس الكلام شهوة الوقاع: لو انقطعت لانقطع النسل، ولو انعدم الغضب بالكلية؛ لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه.

- وقد قال تعالى: {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: ٢٩]

ولا تصدر الشدة إلا عن غضب، ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار، وقال تعالى: {وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ} [آل عمران: ١٣٤]، ولم يقل: والفاقدين الغيظ.

وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والتقلل.

- قال الله تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١]

إلا أن الشيخ المرشد للمريد إذا رأى له ميلاً إلى الغضب والشهوة، حسن أن يبالغ في ذمهما على الإطلاق ليرده إلى التوسط."

فيعني: أن كل واحد له التفصيل الذي يخصه، وهنا تأتي فائدة المربي.

أن هذا المربي يرى مثلاً أن عندك شهوة في الطعام والشراب، أو عندك زيادة في الوقاع، فلا يقول لك: النسل وتعمير الأرض، لا. أو أنه يجب أن تأكل جيداً حتى تكبر وتقوى، لا.

فهو أصلاً لوحده مستزيد، فأنت تحاول أن تحجمه، كيف؟

- بأن تدم له الإسراف في هذا الأمر.

فكل أحدٍ وله حالته الخاصة.

مثل: الحكم والفتوى، فالحكم الشرعي: هي النص، والفتوى: تختلف باختلاف الشخص والزمان والمكان.

قال: "ومما يدل على أن المراد بالرياضة الاعتدال: أن السخاء خلق مطلوب شرعاً، وهو وسط بين طرفي التقدير والتبذير، وقد أثنى الله عليه بقوله: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [ الفرقان: ٦٧].

واعلم أن هذا الاعتدال تارة يحصل بكمال في الفطرة منحة من الله- عز وجل-".

مثل الرجل الذي قال له النبي ﷺ: " إِنَّ فِيكَ خَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْجِلْمُ وَالْأَنَاةُ. قال : يا رسول الله ! أنا أَتَخَلَّقُ بهما أمِ اللهُ جَبَلَنِي عليهما ؟ قال : بَلِ اللهُ جِبَلَكَ عليهما. قال : الحمدُ لله الذي جَبَلَنِي على خَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ ورسولُهُ " [صحيح أبي داود].

- فيوجد بعض الناس هكذا فطرتها-الخلق المحمود-، ويوجد بعض الناس فطروا على خلاف ذلك حتى يجاهدوا أنفسهم.

قال: "تارة يصدر بالفطرة منحة من الخالق، فكم من صبي يخلق صادقًا سخياً حكيماً. وتارة يحصل بالاكْتساب، وذلك بالرياضة وهي حمل النفس على الأعمال الجالبة للخلق المطلوب.

فمن أراد تحصيل خلق الجود؛ فليتكلف فعل الجواد من البذل؛ ليصير ذلك طبعاً له، وكذلك من أراد التواضع؛ فيتكلف أفعال المتواضعين، وكذلك جميع الأخلاق المحمودة فإن للعادة أثراً في ذلك، كما أن من أراد أن يكون كاتباً يتعاطى فعل الكتابة، أو فقيماً يتعاطى فعل الفقهاء من التكرار حتى ينعطف على قلبه صفة الفقه".

وهي: "إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَّعَلُّمِ وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالْتَّحَلُّمِ".

أي أن تُكره نفسك على الفعل مرة وراء مرة، تتكلف في الأول حتى يصير بعد ذلك خلقاً تفعله من غير تكلف.

قال: "إلا أنه لا ينبغي أن يطلب تأثير ذلك في يومين أو ثلاثة".

فتلك المعركة -كما ذكرنا- معركة العمر، فحين تشتغل على نفسك، تشتغل على خلق خلق، وليس خلق خلق أن تستمر مع كل خلق يومين أو ثلاثة، لا بل أنت تحتاج أن تختبر نفسك كثيراً.

حتى لو زعمت أن هذا الخلق قد اكتسبته، فأنت تحتاج أن تختبر نفسك كثيراً في مواقف كثيرة.

فلا يتطلب يوم أو يومين لتغير خلق في الأخلاق!

قال: "وإنما يؤثر بالدوام -بالاستمرار-، كما لا يطلب في نمو علو القامة في يوم أو ثلاثة".  
هل يوجد أحد يقوم بإطعام ابنه لقمة، ويريده أن يكبر في نفس اللحظة! أو بعد يومين تطول قامته؟! لا يوجد مثل هذا بالفعل، ولكن عبر الأيام.

وهكذا الروح والنفس، فالنفس لا تنمو في يوم أو يومين، وإنما تنمو عبر تغذيتها بالوحي من كلام الله، وكلام رسوله، والمجاهدة في تطبيق الوحي؛ فتكبر الروح، وتتسع النفس وتسجد.

- ولذلك قال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا \*  
وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: ٧-٩].

زَكَّاهَا: أي نمَّاهَا .

{وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}: دَسَّاهَا تعني حقرها وصغرها.

قال: "كما يطلب في النمو علو القامة في يومين أو ثلاثة وللدوام تأثير عظيم، وكما لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعات فإن دوامها يؤثر، كذلك لا يستهان بقليل الذنوب.  
وكما أن تعاطي أسباب الفضائل يؤثر في النفس ويغير طبيعتها، فكذلك مساكنة الكسل تصير عادة؛ فيحرم بسببه كل خير".

فمثلما أن الأخلاق الحسنة تحتاج أن تجاهد نفسك فيها، كذلك لا تترك الأخلاق السيئة تتسرب إليك، فإنها بالدوام تكبر وتأخذ مساحة من نفسك.

فإذا أنت تركت نفسك في أمر الكسل مثلاً، أو في أمر النوم، أو في أمر التأثر بكلام البيئة من حولك، والذي تسمعه من الإعلام؛ ستجد الخلق السيء يتسرب إليك؛ فلا يستهان بقليل الذنوب ولا يستهان بقليل الطاعات.

قال: "وقد تكتسب الأخلاق الحسنة بمصاحبة أهل الخير".

لا شك أنه مسلك عظيم؛ لأن الطبع معدي، والإنسان مركز فيه فطرة الاكتساب والتقليد. فرغماً عنه حين يرى شيء وينهر به كثير أمامه فلزم أن يتأثر بها، إن كانت خيراً فخير، إن كان شراً فشر.

"فإن الطبع لص يسرق الخير والشر. ويؤيد ذلك قوله ﷺ: "الرجلُ على دينِ خليله فلينظر أحدكم من يُخالل" [صحيح أبي داود].

طبعاً ما قال: على خلق خليله -مع أن هذا المقصود- ولكن عبر عن الخلق بالدين؛ لأن الدين كله خلق، كلما عظم خلق الإنسان كلما دل هذا على متانة دينه، وكلما سفل خلق الإنسان دل ذلك على رقة دينه.

قال: فصل في بيان الطريق إلى تهذيب الأخلاق. نقف معه الأسبوع القادم إن شاء الله عز وجل.

